ان رجلا لا يكون كذلك الا اذا كان كاملا في العلم والقدرة فبين اولا كمال علمه بقوله ولله غيب السموات والارض
كونه كاملا في العلم وبين كمال قدرته بقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر والساعة هي الوقت الذي تقوم
فيه القيمة سميت ساعة لانها تجيء الانسان في ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة وقوله او
هو اقرب ليس المراد منه الشك بل المراد بل هو اقرب اضرابا عن تشبيه امر قيام الساعة في السرعة
برجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها ولا شك ان الحدقة مؤلفة من اجزاء لا تتجزى ولمح البصر
عبارة عن مرور الجفن على جهة تلك الاجزاء التي منها تركب الحدقة فيكون الزمان الذي يحصل فيه
لمح البصر مركبا من انات وازمان متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيمة في زمان واحد
من تلك الازمان فلذلك اضرب عن التشبيه الاول الى الحكم بانه اقرب تشبيها من ذلك
وقال الزجاج المراد الابهام على المخاطبين انه تعالى يأتي في زمان بالساعة لمح البصر او
فيما هو اقل منه لان المراد من تشبيه امر قيامها بامر لمح البصر تشبيه زمان الاول
بشبه زمان الثاني وهذا هو الذي اراد المص بقوله او هو امر لانه تعالى لما ابهم الامر عليهم
فقد خيرهم بين الامرين وعلى الوجهين يكون المقصود من الاية تسهيل وقوعها وهاهنا
وعلى ما ذكره بقوله وقيل معناه يكون المقصود قرب وقوعها وان كان بعيدا بالنسبة الينا
لما كان اسرع الحوادث وقوعها بالنسبة الينا هو لمح البصر شبه امر قيام الساعة
شبه امر قيام الساعة به في سرعة وقوعه ثم نبه على انه قادر على ايقاعه فيما هو اقل
من زمان لمح البصر فقال او هو اقرب قوله والهاء مزيدة يعني ان اصل امهاتكم اماتكم
الا انه زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق اصله اراق وقوله لا تعلمون شيئا حال من
مفعول اخرجكم اي اخرجكم غير عالمين وقوله شيئا منصوب اما على المصدرية اي شيئا من العلم
او على انه مفعول به والعلم هاهنا العرفان فيتعدى الى واحد قوله مستصحبين جهل الجمادية
اي لا الجهل الذي هو عدم العلم عما من شأنه ان يكون عالما لان الجنين حال خروجه من بطون امهاته
في حكم الجماد لخلوه عن العلوم النظرية الاولية راسا فضلا عن العلوم المكتسبة بترتيب العلوم الاولية
فان النفس في مبدأ الفطرة كانت خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى لما خلق لها قوى وحواس
ظاهرة وباطنة توسلت بها الى ان ترتسم فيها ماهيات المحسوسات وتنبه لما بينها من المشاركات
والمباينات وان تنزع منها صورا كلية تصورية تتمكن بترتيبها على وجه خاص من اكتساب
المجهولات التصورية وتتمكن بادراك النسبة بين بعض تلك الصور التصورية مع بعض من
انواع تلك النسبة وانواعها ادراكا انها واقعة او ليست بواقعة مثل ادراك الكل اعظم من الجزء
ومثل هذه الادراكات علوم تصديقية تتمكن النفس بترتيبها على الوجه الخاص من اكتساب المجهولات

تمام

٢٨١

المجهولات التصديقية بعد ذلك فظهر ان السبب الاول لحدوث العلوم في النفس هو انه تعالى اعطى هذه
الحواس والى هذا اشار بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة لتصير حصولها سببا لانتقال نفوسكم من الجهل الى العلم بالطريق
المذكور فان قيل قوله وجعل لكم السمع والابصار عطف على قوله اخرجكم وهو يقتضي ان يكون جعل
السمع والابصار متأخرا عن الاخراج من البطن وليس كذلك فالجواب ان حرف الواو لا يفيد
الترتيب وايضا اذا حملنا السمع على الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال وهذا اذا
جعلنا قوله وجعل معطوفا على اخرجكم فيكون داخلا فيما اخبر به عن المسند ويجوز ان يكون
مستأنفا كما قال البغوي تم الكلام عند قوله لا تعلمون شيئا ثم ابتدأ فقال وجعل لكم السمع الاية
لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامهات قوله والاسباب
المواتية له اي الموافقة للطيران لانه تعالى اتيته على ذلك الامر مواتاة اذا وافقته وطاوعته و
العامة يقولون واتيته قال الامام هذا دليل على كمال قدرته فانه لولا انه تعالى خلق الطير
خلقة تمكن معه الطيران وخلق الجو خلقة يمكن معها الطيران معه فيه لما امكن ذلك فانه تعالى
اعطى الطير جناحا تبسطه مرة وتكسره اخرى مثل ما يعمله السابح في الماء وخلق الهواء خلقة لطيفة
رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا قوله وقرأ الحجازيان
هما نافع وابن كثير والبصريان وهما ابو عمرو ويعقوب يوم ظعنكم بفتح العين والباقون
بسكونها وهما لغتان كالشعر والشعر والنهر والنهر واعلم ان البيوت التي يسكن الانسان فيها
على قسمين احدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والحجر والالات التي بها يمكن تسقيف
البيوت واليها الاشارة بقوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اي ما تسكنون فيه وهذا القسم
لا يمكن نقله بل الانسان ينتقل اليه والجعل بمعنى الخلق فيتعدى الى واحد وهو سكنا
ومن بيوتكم متعلق بمحذوف على انه حال من سكنا قدم عليه لكونه نكرة ويجوز ان يكون
بمعنى التصيير فيكون سكنا مفعوله الاول والجار قبله مفعوله الثاني والقسم الثاني
من البيوت القباب والخيام والفساطيط واليه الاشارة بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا تستخفونها وهذا القسم من البيوت يمكن نقلها وتحويلها من مكان الى مكان والظعن
والظعن في الاصل سير البادية للنجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه وقد يطلق على طلب
كل ما يتغذى من الطعام السكن المسكن [illegible] ولما اخذ من جز [illegible]
والبيت ما ياوي الانسان اليه ليلا ليبيت فيه وجعل السكن بعضا من البيوت يدل على ان الكون
المعتبر في السكن بمعنى الاقامة التي هي ضد السفر ولو قيل ان المص فسر المسكن [illegible]

سكنا [illegible]

Copyright © King Saud University